حوليات آداب عين شمس المجلد 51 (عدد يوليو – سبتمبر 2023)
http://www.aafu.journals.ekb.eg
(دورية علمية محكمة)
جامعة عين شمس
كلية الآداب

أسلوبية اللغة النقدية عند العقاد كتاب أبي نواس أنموذجا

د. ضرغام عدنان صالح الياسري*

جامعه سومر / جمهورية العراق / كلية التربية الاساسية
Zz828329@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2019/08/19
تاريخ قبول البحث: 2020/09/02
تاريخ النشر: 2023/09/30

المستخلص:

يدرس هذا البحث الملامح الأسلوبية التي إنمازت بها اللغة النقدية عند الناقد الكبير (عباس محمود العقاد)، على وفق الأسلوبية النصية والأسلوبية الشخصية، فنص العقاد النقدي له من الخصائص البنيوية ما يجعله أدباً من نوع خاص؛ إذ توافر على مستوى البنية على أنماط تعبيرية تكشف عن خصوصية لغة العقاد، وإن كان مدار اشتغاله في الأساس النقد الأدبي، وجملة القول التي يراد بيانها في هذه الدراسة هي: رصد وتشخيص أسلوبية الكتابة النقدية عند العقاد في كتابه الموسوم (أبو نواس الحسن بن هانئ)، ولغة النقد الأدبي وإن كانت أقرب إلى لغة العلم منها إلى لغة الأدب، إلا أن الناقد مبدع لغته التي ينبغي لها أن تشاكل نصها الأدبي الذي تدرسه نقديا؛ لتعبر عنه، وعلى هذا الأساس انبثقت هذه الدراسة التي تبحث عن الإجابة للسؤال القائل: كيف قال العقاد نقده؟ وحين تكون الإجابة متوفرة، يمكن القول: إن البحث قدّم فرضيته الرئيسة، وهي أن للغة العقاد النقدية –في كتابه موضوع الدراسة– خصائص أسلوبية مائزة تمنحها هويتها الأسلوبية الخاصة.

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لحولية كلية الآداب – جامعة عين شمس 2023.

المقدمة

تعد دراسة العقاد في الشاعر العباسي (أبي نواس الحسن بن هانئ)، إحدى الروائع الأدبية والنقدية الحديثة التي أنتجها الأديب والناقد المصري الكبير عباس محمود العقاد (1889-1964)، وإنما قدمت وصفها بالأدبية قبل النقدية؛ لما توافرت عليه لغته النقدية من خصائص جمالية وظفها المؤلف في صياغة أفكاره عن الشاعر العباسي الذي أثار قديما، ولازال يثير جدل الدراسات النقدية؛ لما اتسمت به شخصيته، ونتاجه الشعري من أبعاد إشكالية تتنافى ومنظومة القيم الاجتماعية العربية، على الرغم من توافر نصه الشعري على قدر كبير من السمات الجمالية، وقد توزعت المادة العلمية في هذه الدراسة على ثلاثة مباحث: عرض المبحث الأول لـــ(أسلوبية اللغة الاصطلاحية) التي اكتنزتها اللغة النقدية، سواء كانت مبتكرة من معجم العقاد الخاص، أم استدعاها مقولات مُنجَزة من ميادين المعرفة التي ألِف العقاد طرق أبوابها، أو لعله أقام فيها حتى امتلأ منها ليفيض سيبه عطاءً ثرّا، فلغته اكتست لبوسا اصطلاحيا أحكم عرى الاتصال بين مكوناتها البنائية؛ لتبين -تصريحا أو تلميحا- أنه ثمة ضبط منهجي أحدثته هذه السمة الأسلوبية في بنية النص الناقد، بدءاً من افتراض المقولة وانتهاءً بإصدار الحكم النقدي وفق سياق الأسلوبية النصية. ليفتح المبحث الأول كوّة صغيرة نفذ من خلالها المبحث الثاني -الذي يعد من الأسلوبية الشخصية- وقد رصد في لغة العقاد النقدية حول أبي نواس مجموعة من طرق التعبير، تشكّل بمجملها مكونا آخرَ من الأسلوبية النقدية، إذ بدت لغته وتحت عنوان (أسلوبية اللغة النقدية ودلالتها على مؤلفها) أنها أسلوبية (مُستغربة، شاكّة، مُرجِّحة، مُوازنة، مُقرِّرة، مُعلِّلة) وهذه الخصائص أثــرْت نص العقاد بمستويات دلالية متسعة متباينة. وبعد أن أمسك المبحث الثاني عن القول في آخر كلماته، جاء المبحث الثالث -وهو أسلوبية نصية أيضا- ليقول تحت عنوان (أسلوبية عنوان المقال في اللغة النقدية): أن العقاد يحفــزّ ذهن القارئ بعتبات نصية موحية، يستهل بها مقالاته النقدية في أبي نواس بطريقة تسري فيها دلالة العنوان إلى آخر المقال، فالعنوان ضمن مقالته وإن تصدرها إلا أنه يشخص فيها بصفته نسقا فكريا تدور حوله أو فيه أساسيات الموضوع النقدي وفروعه، وفي المجمل تهدف الدراسة إلى عرض خصائص أسلوبية لغة العقاد النقدية، بعد أن كان نتاجه الأدبي فقط ميدانا لهذا النوع من الدراسة، أي على مستوى البنية فحسب؛ لذلك سعت إلى إضاءة هذا المجال الرحب.

التمهيد

صلاحية النص النقدي للدراسة الأسلوبية*

تنبثق خصوصية هذه الورقة البحثية من خلال اشتغالها على بيان (أسلوبية اللغة النقدية) عند العقاد في كتابه (أبو نواس الحسن بن هانئ)، ومن المغايرة لما شاع في الدراسات الأسلوبية في أن يكون متن الدراسة الأسلوبية نصا شعريا أو نثريا قديما أو حديثا جرى نسج لغته بخصائص فنية مائزة تمنحه هويته الأدبية الخاصة، أما أن تكون لغة النقد التي تدرس شعر الشاعر وسيرته موضع الدراسة الأسلوبية، فهي خصوصية هذه الدراسة وجوهر إشكاليتها، وجملة القول التي يراد قولها في هذه المحاورة مع العقاد، تقديم إجابة عن عدد من الأسئلة مثل: ما هي الخصائص الأسلوبية التي نسجت عليها لغة العقاد النقدية؟ أو كيف قال العقاد نقده؟ وإذا اتفق أن للغته أسلوبا خاصا فما أهمية التشخيص الأسلوبي للغة النقد من الناحية العلمية؟ وهل يثري البحث الأسلوبي أو النقدي في شيء؟ ولبيان هذه المسألة يمكن القول: إن الأسلوبية بوصفها منهجا نقديا خضعت منذ النشأة لمقولات النقد الأدبي، على اختلاف المناهج التي تحاكمها أو تحكم فيها، سواء كانت هذه المناهج وصفية أم معيارية، أي أن للنقد الأدبي سلطة فوقية تدخل تحتها أو ضمنها الأسلوبية، ولكن يبدو أن لأسلوبية اللغة النقدية فرضية من نوع آخر تزعم قولها: وهي أنها تتبادل الأدوار معه فتــُدخل النقد الأدبي تحت ضوئها ليس بوصفه قارئاً مُنقِبا وإنما تُقدِمه مقروءاً مُنقَــبا فيه، فالأسلوبية على وفق هذا السياق تستهدف دراسة من أنتجها، وبين قبول هذه الفرضية أو ردها لغة البحث العلمي، لذلك فهذه الدراسة لا تعدو كونها محاولة علمية مع الأسلوبية، وعند العقاد، وفي منهج النقد النفسي، وفي شعر أبي نواس. وتأسيسا على ما تقدم، فإن وضع خطة علمية تضبط مسار الدراسة وتُحْكم خطواتها جزء من الإشكالية التي تواجهها وتعالجها في الوقت ذاته؛ لذلك اختطت لنفسها منهجا انطلق من خصوصية الموضوع كأسلوبية للغة ناقدة سايرت منجز العقاد في دراسته لأبي نواس وفق المنهج النفسي.

المبحث الأول

أسلوبية اللغة الإصطلاحية

مما يميز لغة العقاد النقدية في كتابه (أبو نواس) أنها لغة اصطلاحية تميل إلى تسمية الأشياء بمسمياتها، وإذا كانت ((معرفة المصطلح تفضي إلى فهم المادة العلمية))[1]، وكذلك ((تؤسس لمعرفة دقيقة ومنهجية في العلوم الإنسانية))[2]، فإن هذا المنحى الاصطلاحي حقق حالة من الضبط المنهجي للمادة العلمية التي ينتجها العقاد، من دون أن يتسرب إليها تشتت الموضوعات، أو فوضى التنظير التي قد تصاحب بعض الكتابات النقدية. وإذا كان ((المصطلح رمزا لغويا يدل على تصور ذهني))[3]، وله ((جذور وخلفيات فكرية وأبعاد اجتماعية وثقافية))[4]، فإن قراءة هذه المصطلحات جزء أثير في استكشاف مكونات نص الدراسة، ومتابعة مسار الأداء فيه وكيفية تشكّل

شكله النهائي. و((الواقع أن الدخول إلى عالم العقاد عملية تحتاج إلى مجاهدة خاصة، إذ أن نتاجه ذو طبيعة موسوعية، ومتابعة مفرداته لا تغني عن النظر إليه في كليته، كما أن النظر الشمولي لا يغني عن متابعة المفردات))[5].

وبعض مصطلحات العقاد هنا مبتكرة من معجمه الخاص، المكتنز بألوان العلم، المتوشح بأصناف الثقافة، وبعضها استقاها من إطلاعه الواسع في مختلف ميادين العلم، الذي أثرى به كتاباته في شتى حقول المعرفة الإنسانية، ومنها كتابه موضوع الدراسة الأسلوبية. وإذا كان هدف بعض الكُتاب من استعمال اللغة الإصطلاحية في الإبداع الأدبي صياغة تأملاتهم في الإنسان[6]، فإن استعراض مصطلحات العقاد في سياقاتها الوردة في كتابه، تبين ملامح أسلوبية اللغة النقدية عنده في شخص أبي نواس، وتجربته الشعرية التي تفضي بنا في نهاية المطاف إلى رصد أسلوبية التأليف النقدي، ومن هذه المصطلحات:

❖ **الأميّون وأشباه الأميّين:**

وقصد بالأميين جهلاء عامة الناس، الذين اشتهر عندهم أبي نواس، واتخذوا من اسمه علما على كل من يشبهه في صورته عندهم، وصحّفوا ذلك الاسم تصحيفا يدل على مصادره الأمية، فعرفوه بأبي النواس، وهؤلاء الأميون يتناقلون أخباره ونوادره، ولا ينقلون بيتا واحدا من شعره، وإنما يعرفون الشاعر شخصية ذات أخبار، ولا يعرفونه قائلا ينظم الأشعار. أما أشباه الأميين فهم أولئك الذين يقرءون، ولا يقدرون على تصحيح نسبة الكلام، واستقصاء وجوه التصحيح، فإذا سمعوا كلاما لشاعر مشهور غيره، جاز عندهم أن يكون لهذا أو لذلك، وإن كان الفارق بينهما واضحا لنقاد الأدب. وشخصية أبي نواس عند هؤلاء، أنها شخصية النديم اللاهي الحاذق، المتمكن من سرعة الجواب والفهم بالإشارة، واللعب بالكلام أو اللعب بالأفهام، لا سيما اللهو ونبذ الحياء والملام[7].

ونلاحظ في هذين المصطلحيين، أن العقاد قد شخّص فئتين اجتماعيتين، اشتركتا في فهم واحد لأبي نواس، وقد تشرَّب في تحليله لهما نقد اجتماعي، فالأمية في سياق كلامه عن الفئة الأولى تعني الجهل، وفي الفئة الثانية عَنَت الجهل المتلبس بلبوس العلم، وشهرة أبي نواس عندهما كما عند صاحب (العقد الفريد) هي شهوة الكلام عن الشاعر في سياق الخبر التاريخي، أو سياق الاختراع والتأليف، وخلاصة القول: إن من يريد أن يتكلم عن أمور محظورة دينيا، أو اجتماعيا، يسوق الكلام على لسان أبي نواس، أو في سياق تاريخ حياته؛ لينأى بنفسه عن اللائمة، وقد بلغ مراده في الحديث عما أراد.

❖ **الشخصية النموذجية:**

وهي النموذج الاجتماعي الذي يعيش في كل زمن، يولع الناس بالحديث عنه، ويضيفون إليه كل خبر من جنس أخباره، ومن هذه الشخصيات النموذجية شخصية لقمان الحكيم، وحاتم الطائي، وعنترة بن شداد، التي

أضاف إليها الناس أخبارا كثيرة، بعضها ليست صحيحة. وكثير من الناس يحيل على أقوال المشاهير الذين لا يعرفون عنهم شيئا غير أسمائهم، فمنهم من يحيل إلى مشاهير عصره، ومن يمعن في التعالم، فيحيل على مشاهير العصور الغابرة، ومنهم من له لباقة الوضع والاختلاق، فهو مجتهد في وضع الأقوال التي ينحلها مشاهير الرجال حسبما يتوهم من مقدرتهم ومأثور أقوالهم، ولهذا يتفق أحيانا أن تنحرف (الشخصية النموذجية) من دلالتها الأولى إلى غير تلك الدلالة، حتى يتباعد ما بينهما، وتصلح كل واحدة منهما لتمثيل شخصية نموذجية غير الشخصية الأخرى، وقد انحرفت الشخصية النموذجية التي اشتهر أبو نواس بها على هذا النحو، فصارت نموذج الحاذق اللبق، السريع إلى الجواب المفحم، ذا الدراية بالمخارج السهلة من الورطات العسيرة[8]. والعقاد وهو يستعرض هذا المصطلح، وما ينطوي عليه من حمولة دلالية، بدا وكأنه يُعرِّض بالأنساق الثقافية لدى من وصفهم بالعامة، في كيفية فهمهم لأبي نواس، وتعاطيهم مع شخصيته بكل ما اتصفت به من لهو ومجون، أو ذكاء وفطنة؛ لذا نجده يقول: ((وقد كان أبو نواس ولا ريب، على حظ من اللباقة غير قليل، وكان يحسن الجواب ويتحيَّل على اللذات، ولكنه لم يكن آية الآيات في زمنه على سرعة الجواب، والخروج من المآزق، بل لعله كان إلى التورّط أقرب منه إلى الدراية بمخارجها))[9].

❖ **النرجسية:**

هي شذوذ دقيق، يؤدي إلى ضروب شتى من الشذوذ في غرائز الجنس وبواعث الأخلاق، قد تميل بصاحبها إلى العلاقة الطبيعية بين الذكر والأنثى، أو تميل إلى علاقة شاذة بين شخصين من جنس واحد، كما كان يحدث مع أبي نواس في غزله بالمذكر تارة، وغزله بالمؤنث تارة أخرى، وفي الجمع أحيانا بين ما يزعمه عشقا لأكثر من فتاة واحدة، وما يزعمه عشقا لأكثر من فتى واحد، ولا أصل للعشيقين في نهاية المطاف، وهي قبل أن يفهمها المحللون النفسيون بهذا الفهم، على ارتباط وثيق بالأساطير اليونانية. وهذه النرجسية عند أبي نواس، انتهت به أن يكون إباحيا متهتكا متحديا بهذه الإباحية، مستخفا برأي الناس، فهو يريد أن يلقي في روعهم أنهم أهون لديه من أن يستتر عنهم، أو أن ينزل عن لذة من لذاته لمرضاتهم، وأنهم من هوانهم عليه يتحداهم ويطلب مذمتهم ويؤثرها على ثنائهم، والواقع أن الإغاظة والظهور هما بيت القصيد عنده[10]. والعقاد في عرضه لمفهوم النرجسية، أعطى لبحثه حرية التواصل مع مقولات علم النفس، أو لنقل بعبارة أخف مع مقولات منهج النقد النفسي، ذلك المسار العريض الذي كوّن البداية لفرضيته التي انطلق منها مساره النقدي في كتابه الحسن بن هانئ، مثلما كوّن النهاية التي تمثّل خلاصة القول في أبي نواس عنده، فأغلب مظاهر حياته وفي مراحلها المختلفة، وما تضمنته أشعاره سترافقها النرجسية، ولن يستثني العقاد حتى أشعار أبي نواس في التوبة، بل يشابه بينها وبين أشعاره التي تصنف

في الزندقة، مثلما لا فرق بين أشعاره في غزل المذكر والمؤنث، وأشعار الجد والهزل من منظور النرجسية كما يراها العقاد.

❖ **توثين الذات:**

حالة عاطفية وفكرية من متلازمات النرجسية، يتخذ المصاب فيها من نفسه وثنا يعبده، ويعزله، وينشغل بتدليله، ويشوب هذا التوثين حب كحب المرء لمعشوقه، فهو لا يخلُ من اختلال وظائف الجسد[11]. وفي سياق كلام العقاد عن هذا المفهوم، نجده يضعه بين (النرجسية) وبين (لازمة التلبيس والتشخيص)، اللتان باجتماعهما مع (التوثين) يتشكل جانب من شخصية الشاعر أبي نواس.

❖ **لازمة التلبيس والتشخيص:**

وهي عشق الإنسان لذاته من الناحية الشهوانية، فيُظهر ميلا غرائزيا بإزائها، وهو ضرب من الشذوذ، ولا يتمكن المصاب بهذه العقدة من بلوغ مراده، فيلجأ إلى أن يُلبِس شخصيته شخصا آخرَ يتوهم أنه هو ذاته، أو يحل محله، فيتعلق به، وهو في الواقع متعلق بذاته، وقد كان هذا التلبيس في غزل أبي نواس، صريحا مكشوفا حين اختار لهواه غلاما ألثغ كأبي نواس، كما تعجبه في من يحب بحّة الصوت التي كانت من خواصه الصوتية[12].

وقراءة أسلوبية العقاد النقدية، وهو يستدعي هذه المقولة من التحليل النفسي في إجرائه الفاحص لشعر أبي نواس، تفضي إلى القول: إنه بدا وكأنه يتمركز في منطقة المنتصف، بين التراث الذي يمثله النص الشعري المدروس، ومستجدات العلم الحديث التي يمثلها التحليل النفسي، والعقاد الناقد هنا نجده يمسك بطرف من هذا، وبطرف من ذاك، وينسجهما معا، فيكون بإزاء تشخيص ملامح شخصية شاعره، وتصويرها على وفق ما تقرره نصوصه الشعرية أولا، وما تقوله (لازمة التلبيس والتشخيص) ثانيا، بوصفها مقولة للمنهج النفسي.

❖ **العرض الفني:**

وهو قصد في الشعر، يكون مداره الصورة والحكاية ذات المواقف، أو الأحداث البينة، ومثاله عند أبي نواس، قصائده الطردية، فلم يؤثر عنه أنه كان يحب الطرد أو الصيد على ما يظهر من بعض شعره، وإنما نظم فيه؛ ليعرض قدرته الفنية على النظم في هذا الباب، فكل ما في هذا الباب عرض فني تنحصر بواعثه في هذه الرغبة[13]. وقد ساق العقاد هذا الكلام مشفوعا بقصة أبي العتاهية والمغني مخارق، التي نسك بعدها أبو العتاهية، وترك الملذات حتى قول الشعر، وإنما ذكر هذه القصة؛ لتكون شاهدا لصحة موضوع (العرض الفني)، الذي شابه فيه أبو نواس أبا العتاهية، وتحت مظلته وضع شعر أبي نواس في الطرديات، إذ يرى العقاد وهو يخضع شعر أبي نواس للقراءة وفق المنهج النفسي: أن لشعره أدوار تُوزّع بحسب الحاجة إلى العرض الفني، لا على البواعث الصادقة من إلهام السريرة وما تقتضيه بواعث قول الشعر عند أبي نواس.

❖ **الإبليسيات:**

وهو من المصطلحات التي أطلقها العقاد على مجموعة من أشعار أبي نواس وأخباره مع بعض المُجّان، وهذه الإبليسيات أدرجها العقاد ضمن نرجسية أبي نواس، وما عُرف به من شهوة المخالفة والمغايضة، فهو يصوّر إبليس بصورة المتوسل إليه بغوايته؛ ليختار منها ما يحلو له، وهو يأباها غواية بعد غواية، ولا يزيد على أن يقول له: (لا)، من قبيل المكايدة والمعاندة، لا من قبيل الزهد والعفاف، ولا يخطئ القارئ في هذه الإبليسيات التي تروى لأبي نواس، ما تحتويه من خبيئة التعلل بالوجاهة والإمتياز والظهور بين الأقران من المُجّان[14]. وتظهر شخصية العقاد الناقدة في هذا المصطلح، وهي تجمع في قراءة شخصية أبي نواس وأشعاره بين مقولات المنهج النفسي، والمنهج التاريخي، إذ نجد العقاد ينتقل من إبليسيات أبي نواس الشعرية المقروءة نفسيا، إلى إبليسيات حياته وأخبارها التي يسعفه بها المجال التاريخي الذي دوّن حياة الشاعر، بالإضافة إلى من يشترك معه من أقرانه، في هذا السلوك من أهل صنعته الذين لا يكادون يختلفون عنه في المجون واللهو، فالأسلوبية الناقدة في هذا السياق، أسلوبية تعي جيدا حاجة البحث العلمي لأدوات بحثية منفتحة على أكثر من منهج، تسهم مجتمعة في الوصول إلى النتائج العلمية التي قررها العقاد تحت عنوان الإبليسيات.

❖ **لازمة الارتداد:**

وهي لازمة نفسية من لوازم الشخصية النرجسية، وعادة ما تظهر عند من يتصف بها –ومنهم أبي نواس– بحسب ما يراه العقاد بعد مرحلة المراهقة، أي في مرحلة الشباب، وفيها تعود الشخصية النرجسية، فتستعير الملامح المختلفة وتتلبس بها وتحسبها من ملامحها وصفاتها، وبخاصة إذا رأت أنها ناقصة فيها، وهي بهذا الوصف تكون عكس (لازمة التلبيس والتشخيص) وأكثر الصفات المرتدة التي يستعيرها أبو نواس، قد استعارها من الأمين العباسي، صديق الخمرة لأبي نواس الذي كان شغفه به شغف عاشق، لا شغف تابع ومتبوع[15]. والملاحظ في هذا الموضوع، أن العقاد قد أوغل في التحليل النفسي إلى حد كبير، وبالمستوى الذي يكون فيه قد حمّل بعض أشعار أبي نواس التي ساقها شواهدا لهذا الموضوع، حمولة دلالية اكتنزت بالمكنونات النفسية، على الرغم من قلة الاستشهاد الشعري لهذه الظاهرة النفسية، إذ يعقب عليها –لازمة الارتداد– بعد بيانها من الوجهة النفسية: ولا حاجة إلى استقصاء شواهد الارتداد في شعر أبي نواس، فكل ما وصف به أكفاء المنادمة والظرف، وجعلهم من أقرانه لا يخلُ من هذا الارتداد.

❖ **النهي السياسي:**

أراد به العقاد، نهي الأمين الخليفة العباسي لأبي نواس عن شرب الخمرة، والإجهار بتعاطيها، وأبو نواس يعلم أن الأمين من أهلها، وإنما نهاه عنها؛ ليمنع قائلة الألسن من أن يقال: أن نديم الخليفة ومُجالسَه متهتك

خليع[16]. والعقاد هنا وهو يصف هذا النهي بالسياسي، كشف عن موضوعية علمية في قراءة بعض مشاهد التاريخ، وتجرد قلمه النقدي عن العاطفة التاريخية التي قد تصف شخصيات أو حوادث معينة بمواصفات القداسة، وفيها ما فيها مما ينافي منظومة القيم الأخلاقية أو الإنسانية، أي أن السمة الأسلوبية التي اتصف بها المسار النقدي في هذا الموضوع بالتحديد، هي الدقة العلمية في التقييم، وعدم إعادة إنتاج بعض المغالطات التاريخية، التي حاولت تعمية الحقائق وتسويقها إلى القارئ العربي، بشكل مزوق بينما هي تجانب الصواب، وعلى هذا الأساس يمكن القول أن اللغة النقدية عند العقاد وهي تبتكر مصطلحاتها الخاصة دلت بشكل جلي على التزام العقاد الموضوعية العلمية في نقده للشاعر أبي نواس.

❖ **سن الحَرَج:**

ذكر العقاد هذا المصطلح في معرض حديثه عن (توبة أبي نواس)، التي يراها طورا من أطوار النرجسية، من مرحلة الصبا والكهولة إلى سن الحرج، أي كِبَر السن الذي عاجله قبل أوانه؛ لإفراطه في مهلكات النفس والجسد، ومن آثار هذا الطور أزمات قاسية على الشيوخ الذين لم يتأهّبوا له، فتبدو للناس منهم بدوات يستغربونها منهم، بعد ما ألفوه من رصانتهم واتزانهم، ويصاحب هذه الأزمات شيء من ردة الفعل وتغيير المألوف، فيرعوي السادر في الغواية، ويسدر في الغواية من لم يكن من أهلها[17].

لقد كشف هذا المصطلح عن عمق قراءة العقاد لأشعار أبي نواس، ومتابعتها عبر مراحل زمنية مختلفة من حياته اللاهية، فهو وإن رصفها فيما سبق تحت سقف النرجسية، إلا أن هذه الأخيرة في فهم العقاد، يبدو أنها تنشأ وتنمو وتكبر بمرور الزمن وتعاقب السنين عند أبي نواس، حتى كهلت نرجسيته وشابت معه، فراحت تتمظهر بلباس الدين أو التوبة، فالنرجسية الفاعلة والمؤثرة في نفس أبي نواس التي دفعته إلى العبث والتحلل القيمي في سابق أيامه، تدفعه اليوم إلى التنسك والكف عن المحرمات في كبر سنه، فالعقاد يريد أن يقول أن النرجسية كعلة نفسية لم تختلف في جوهرها وإن اختلفت مظاهرها، وتباينت أشكالها في سلوك أبي نواس، وأسلوبية النقد في هذا المورد عمق القراءة ودقتها مع الصبر والأناة، فالعقاد وضع أمام ناظريه أبا نواس طفلا ترضعه أمه (الجلّبان)، وصبيا انسدلت من رأسه ذؤابة، وشابّا يسمّط شعره على وجهه وقفاه، وكبيرا عاجله المشيب قبل أوانه، وأحرجه سنه للتظاهر بالتوبة بحسب العقاد.

المبحث الثاني

أسلوبية اللغة النقدية ودلالتها على مؤلفها

لا تختلف لغة العقاد من حيث القوانين النحوية التي تضبط العلاقات التركيبية بين مفرداتها، عن لغة غيره من كتاب العربية، ولكن التمايز وجد في طريقة الأداء وأساليب الصياغة، أو لنقل أن طريقة التعبير هي التي تمنح لغة العقاد هويتها الخاصة من الناحية الأسلوبية. ومعروف ((أن الأسلوب قوة ضاغطة تتسلط على حساسية

القارئ))[18]؛ لذلك من الضروري معرفة عناصر هذه القوة في سياق تشخيص أسلوبية اللغة النقدية، ويبدو أن للعقاد طرقا في التعبير نفذت من خلالها ملامح شخصيته الناقدة، هذه الطرق لو تمكن البحث من رصدها وتحديد منطلقاتها ومساراتها، لمكّن ذلك من استجلاء أسلوبية اللغة النقدية بشكل أتم، وفي ضوء (أسلوبية الشخص) التي صدرت عن ذات فاعلة ومنفعلة علميا وجدانيّا وعاطفيا في بنية النص ولا غرابة في هذا؛ لأن ((الالتفات إلى ظاهرة الشحن العاطفي والوجداني، يشكّل مظهرا بارزا من مظاهر انفتاح الدراسة الأسلوبية على الجانب التأثيري))[19]، والأسلوبية بصورة عامة ((تــَقِف نفسها على استقصاء الكثافة الشعورية التي يشحن بها المتكلم خطابه في استعماله النوعي))[20]، ومن هذا المنطلق وبهدف إنضاج الفكرة حول أسلوبية لغة العقاد الناقدة، يسلط هذا المبحث الضوء على المحتوى الشعوري الذي تطفح معالمه صورا تعبيرية في بنية أسلوبية مقصودة، تحددها طبيعة الميل النفسي في الإجراء النقدي الذي أجراه العقاد، والأساس هنا: ((إن اللغة ينبغي أن ينظر إليها في علاقتها بالروح التي أبدعتها، أي في أسلوبها))[21]، وإذا كان من وظائف الأداء الأسلوبي التعبير عن الفكر[22]، فإن كشف طريقة أداء المحتوى الفكري غاية المقال في هذا المبحث.

ومن الضرورة العلمية بمكان الالتفات إلى مسألة مهمة، وهي أن دراسة أسلوبية اللغة النقدية عند العقاد والبحث عن مكوناتها الإجرائية في هذا السياق، وفحصها وفق السياقات العلمية المتبعة في الدراسات الأسلوبية، قد تختلف نوعا ما في كيفية تشخيص أو تحديد مظاهر هذه الأسلوبية وشواهدها، فقد جرت العادة –على سبيل المثال– في دراسة أسلوبية الشعر سواء القديم منه أم الحديث، أن يشخّص الباحث مجموعة من الشواهد الشعرية التي تتوافر على خصائص اللغة الشعرية عند الشاعر المدروس ودراستها، فتؤلف مجتمعة أسلوبيته الخاصة، وكذلك الأمر في أسلوبية النثر الفني، فقد يحتاج الباحث إلى دراسة المفردات المستعملة، وإلى نوع الجمل ومكوناتها التي تؤلف أسلوبية بناء النص، مع الالتفات إلى خصوصية النص المدروس، أما الكلام عن أسلوبية اللغة في نقد العقاد، فلا تكتفِ الدراسة بتشخيص المفردات ودراستها معجميا، كما لا تكتفِ أيضا باقتطاع الجمل من سياقاتها، وبيان نوعها أسمية كانت أم فعلية، أو ظرفية أم شرطية، وإنما طبيعة البحث تقتضي أخذ مُقطــَّعات نصية من كلام العقاد –طويلة نسبيا– استوفت حمولاتها الدلالية، وأتمّت التعبير عن الفكرة النقدية التي أراد العقاد بيانها، لتأتي القراءة الأسلوبية لتبحث في كيفية إيصال هذه الفكرة، والغرض الذي خرجت إليه هذه اللغة:

❖ **طريقة التعبير بالاستغراب:**

ذكر العقاد أن أخبار أبي نواس ليست مقصورة على الأميين وأشباه الأميين، ولكن اهتمامهم به هو (وجه الغرابة)، وأن رواة الأدب الصحيح لا يهتمون بأبي نواس وأنداده من الأعلام على نحو واحد، بل يلوح عليهم أنهم يودون لو يشركونه بسهم في سيرة كل أديب، ويحبون إذا نسب الخبر إليه وإلى غيره أن يؤثروه به لو استطاعوا،

ومنهم –كما يرى العقاد– صاحب العقد الفريد (ابن عبد ربه)، فهو يروي أخبارا عن أبي نواس منقولة عن الأميين وأشباههم، وهي أخبار مشهورة عن (ذي الرمة) وصاحبته (ميّة)[23]. والملاحظ أن سَوق الكلام بهذه الطريقة الاستغرابية، قد وفّر للعقاد إمكانية نقد الثقافة الاجتماعية الشعبية، التي مثّل لها بالأميين وأشباههم، كما تمكّن من نقد بعض المختصين بالدراسات الأدبية وليس المحدثين فحسب، بل رجع إلى القدامى منهم، ومثّل لهم بصاحب العقد الفريد، عندما سايروا الفئة الأولى في التعامل مع أخبار أبي نواس، معرِّضا بالتعامل مع أخباره بطريقة تشبه لغة عامة الناس، لا تتوخى الدقة التي تستلزم إعمال الفكر، ودقة النظر في تقصي المعلومات.

❖ **طريقة التعبير بالشك:**

يقول العقاد: ((والقصة كما يرى القارئ: مقامة مؤلفة، وتلك علامة على تمكّن شهوة الكلام عن الشاعر في سياق الخبر التاريخي، أو سياق الاختراع والتأليف...هذه القصة كما رواها رزين الكاتب، لا يعنينا صحَّتْ روايته أو لم تصح))[24]. والقصة الأولى كما نقلها العقاد مروية عن (أبي بكر الوراق)، تفيد أن أبا نواس حجّ مع (الفضل بن الربيع) وزير (هارون الرشيد)، وفي الطريق في بلاد فزارة من قبائل تميم، نزلوا فيها بمنزل فيه رياض غناء وعيون ماء، وحدث لأبي نواس أن رأى جارية مشرقة أطال الحديث معها حتى انصرف عنها، وقد سيق الكلام عن أحداث كثيرة بتقنيات سردية أقرب للدرما منها للعرض التاريخي. أما القصة الثانية، فتتعلق بقصيدة لأبي نواس منقولة عن (رزين الكاتب)، إذ اجتمع مع أبي نواس عدد من المُجّان، وقد شكى أبو نواس من صدّ بعض من يهواه، فقال له (علي بن الخليل(يمازحه: سل شيخك وأستاذك يعطفه عليك، فقال أبو نواس: من تعني؟ قال: من أنت في طاعته ليلك ونهارك، –يعني إبليس– فإن لم يقضِ لك هذه الحاجة، فلا تقر عينه بمعصية. والعقاد بأسلوب الشك في صحة هذه القصص، إلى جانب نقده لشعر أبي نواس، يوجه نقدا لطريقة التأليف القديمة، وإن صحَّ عنده شعر أبي نواس، إلا أنه يرى اختلاق السرد الذي رافق أشعاره، وقد مكّنه هذا الشك من عقد مقاربة أو مشابهة بين طريقة التفكير في أبي نواس وبين اتخاذه وسيلة للبوح عما في سرائرهم، فالبعض يلقى حرجا اجتماعيا من تبنيه لمثل هذه الموضوعات. كما وجّه نقدا لبعض الشعراء الذين أشاعوا مثل هذه الأخبار على لسان أبي نواس،؛ بدافع الحسد كونه أجود في شعره من أشعارهم، فإحاطته بسمعة سيئة، تقلل من مكانته الشعرية، لاسيما عند العلماء، وهم يستشهدون بالأشعار، والسبب الآخر الذي يراه العقاد في رواج مثل هذه القصص والأخبار، أنها تنطوي على نقد سياسي خفي موجه للسلطة العباسية بطريق غير مباشر من قِبل بعض معارضيهم، فمن لا يقدر على توجيه اللائمة للسلطة بشخوصها، يثلبهم بمن يجالسهم ويشاورهم أنه خليع متهتك. وهذه المساحة النقدية الواسعة المتفرعة عن نقد شعر أبي نواس، تمكّن منها العقاد بأسلوب الشك الذي وجهه للمنقول من أخبار شاعره، بأدواته النقدية الفاحصة التي تسبر أغوار النفس البشرية.

❖ **طريقة التعبير بالترجيح:**

يقول العقاد: ((بل قيل –وما هو بالخاطر البعيد– إن شغفه بالأمين، إنما كان شغف عاشق، لا شغف تابع ومتبوع، فما كان أبو نواس بالذي يبقى على ولائه بعد خلع الخليفة تشيعا لرأي أو تعصبا لمذهب))[25]. والعقاد في هذا الأسلوب من التعبير، ناقل لكلام غيره غير قاطع فيه لكنه مرجحا له، وهو وإن لم يذكر مصدر هذا الكلام، إلا أن الأمانة العلمية واضحة لديه من جهة عدم إدعاء الرأي إليه مع وجاهته، وقد احتج لصحة الرأي من وحي دراسته النفسية لأبي نواس، فلا يأمل من شاعره التمسك بموقف سياسي زال مبرر تبنيه بعد خلع الأمين العباسي عن السلطة، ومن الضروري النظر لدقة هذه المسألة من دقة نظر العقاد نفسها، فإذا كان المشهور أن الشعراء في تزلفهم للحكام، إنما كان بدافع الحصول على المال والجاه، فعندها يفترض أن يكون أبو نواس واحدا من أولئك الشعراء المتكسبين، إلا أن تحليل نفسيته دعت العقاد لترجيح شغف العشق للأمين لا شغف التابع.

❖ **طريقة التعبير بإصدار الحكم النقدي:**

يقول العقاد: ((إننا نرى على الدوام، أن ديوان الشاعر أصدق ترجمة لحياته الباطنية، ويصدق هذا على أبي نواس كما يصدق على سائر الشعراء المطبوعين، وهو أصدق ما يكون على خمرياته التي تفيض بدلائل العقدة النفسية))[26]. ولا يخفى أن كتاب العقاد موضع الدراسة الأسلوبية هذه، من الكتب النقدية المشهورة بين القراء والباحثين، وكان فاعلا في موضوعه ومازال في الدراسات النقدية، وإن إصدار الأحكام النقدية فيه أمر متوقع، بل إن غاية الكتاب هي جملة الأحكام التي تبناها المؤلف، وليس غريبا أن تكون لغته معبرة عن هذا الغرض، ولكن لما كانت اللغة الناقدة لشعر وشاعرية أبي نواس، أخذت طرقا متعددة في إجرائها الفاحص نقديا، وسلكت عددا من الأساليب في التعبير عن مقاصدها، بحيث تميزت هذه الطريقة بشكل ملحوظ عن غيرها من أساليب التعبير، استلزم ذلك أن تفرد في التشخيص بوصفها مكونا له خصوصيته الصياغية التي تميزه، فبإمكان قارئ العقاد أن يضع يده على عدد من النصوص، أقل ما يقال فيها: إنها أحكام ناقدة تمثل رؤية نقدية قاطعة في سياقها.

❖**طريقة التعبير بأسلوب التعليل النقدي:**

يقول العقاد: ((من قال عن أبي نواس: إنه (إباحي متهتك)، فقد وصفه بما كان عليه؛ لأنه كان يقارف المنكرات ويعلنها، ولا يحفل بمداراتها...فقد يتهتك المرء؛ لأنه هين على نفسه يعلم أنه هين على الناس، مسلّم بحقارته، شاعر بقلة الجدوى من التستر والمداراة...أما الحالة الأخرى فهي نقيض هذه الحالة في باطنها وظاهرها؛ لأن صاحبها يتحدى بها الناس؛ عامدا أن يسخر منهم ويكشف رياءهم))[27]. وهذه الطريقة من التعبير ترتبط بما سبقها، فهي ناشئة عنها معقبة عليها، يمكن النظر إليها على أنها حجة يحتج بها العقاد عند إصدار

الأحكام النقدية؛ ليبرهن على صحة ما يراه من آراء في شعر أبي نواس، أو أنها لدفع اعتراض من يحتمل اعتراضه، وهي تعطي آراءه قوة علمية ترتقي بها إلى مصاف النقد الأدبي الرصين.

❖طريقة التعبير بالموازنة النقدية:

ناقش العقاد تحت عنوان (الفن وأبو نواس)، ظواهر شعرية في شعره تقوم عل أساس التضاد فيما بينها، وقد وازن بينها بقوله: ((يواجهنا الشعر النواسي بألغاز لا تفهم، حيث تتلاقى الزندقة بالنسك، ويتلاحق غزل المؤنث وغزل المذكر، ويمتزج الهزل والجد، ولكننا إذا أدخلنا في حسابنا طبيعة العرض النرجسي ومشتقاته ولوازمه، لم يبقَ من هذه النقائض لغز يستعصي على الفهم، وأصبحت هذه الألغاز في كثير من المناسبات، هي المفتاح الحاضر الذي يحل كل إشكال))[28]. فهذا النص يكشف عن دقة نظر لدى العقاد في استقراء تعدد إتجاهات الشعر وتباين موضوعاته، والتي ألّــفت مجتمعة ظاهرة أبي نواس الشعرية، وقد أجاد الناقد في إحكام عرى الاتصال بين هذه المتناقضات التي وصفها بالألغاز، عادّا إياها مفتاحا لحل إشكاليات شعر أبي نواس، فإذا كان شاعره يتزندق بجملة من أشعاره، كما وصفه العقاد من طرف، ويتنسك من طرف آخر، فهذا لا يعني أن هذه الخلال أصيلة فيه، بل هي طارئة عليه؛ لحاجة الاستعراض الفني، ونفس الفهم ينطبق على غزل المذكر والمؤنث، وامتزاج الهزل بالجد، وهذه السياقات الشعرية من لوازم النرجسية عند أبي نواس على حد وصف العقاد.

المبحث الثالث

أسلوبية عنوان المقال في اللغة النقدية

للابتداء أهمية كبيرة في الدراسات النقدية، إذ تُفَكك البدايات بوصفها بنيات نصية تمثل شفرة تُنبئ أو تُخبر بما سيأتي بعدها، وفي هذا المبحث ستكون البدايات النقدية، هي مجال اشتغال الدراسة الأسلوبية؛ لأنها مكون رئيس في بنية الخطاب النقدي، الذي أخضع فيه العقاد أبا نواس لإجرائه الفاحص، وقال فيه ما قال بحسب رؤيته الخاصة، وإذا كان هدف البحث الأسلوبي أن يتجه إلى مراقبة وظيفة اللغة داخل الخطاب[29]، فإن رصد المحتوى الدلالي والأداء الوظيفي الذي يحققه العنوان، مرحلة لها أهميتها في تكوين رؤية شاملة للأسلوبية محل الدراسة، ومن هنا ((كان الاحتفال بالابتداء؛ لأنه...يثير انتباه النفس، من جنس الاحتفال بالتقديم للاهتمام))[30]، والعنوان ((بالنسبة إلى المبدع، اسم علم يعرف به هذا المولود الجديد، ويعبر عن مشاعره نحوه))[31]، ومن يقرأ عنوانات العقاد في أبي نواس وشعره، يجد لها أثرا نفسيا واضحا يلفت الانتباه ويشد الذهن، لأهمية ما سيأتي باعتباره ناقلا للمقولات النفسية، التي قرأت أبا نواس نفسيا، وذلك تأسيسا على: ((إن نظم الأسلوب، لا يتحقق إلا من خلال أداء المعنى النفسي المراد، وهذا المعنى، لا يُؤدّى بداهة، إلا من خلال تركيب أسلوبي مفيد))[32]، وسيكون التركيب الأسلوبي المفيد الذي يفككه هذا المبحث، عددا من التراكيب التي تصدرت بها مقالات العقاد في كتابه (أبو

نواس)، والأسلوب بصورة عامة ((كونه دلالة ذاتية))[33]، فإن البدايات النقدية توافرت على هذا البعد الذاتي، حتى بدت وكأنها وحدات لغوية ذات سلوك معرفي مستقل عن جاراتها في المقالات الأخر، وإن ارتبطت برابط موضوعي خفي، شكّل في كليته النهائية الصياغة النقدية التي تبناها العقاد في أبي نواس، والعنوانات التي تحمل طاقة دلالية موحية هي:

❖أبو نواس عند العامة:

إن هذا العنوان، بما يستبطنه من دلالة مركزية للموضوع المتصدر له، يثير سؤالا لدى القارئ، مفاده: إذا كان العقاد يبحث نقديا في شعر أبي نواس من الناحية النفسية، فما دخل العامة فيه؟ خصوصا إذا علمنا إن كلامه شمل معاصريه أيضا من عامة الناس، وعلى هذا الأساس، وفي سياق إجابة هذا السؤال يمكن القول: إن انضمام دلالة العنوان النقدي إلى ما تحته من نص نقدي، يكمل لنا أبعاد المنظومة الفكرية التي أراد العقاد إيصالها، إذ ثمة منبه نصي أحدثه جدل العلاقة بين العامة وأبي نواس، وطبيعة وتعاملهم مع سيرة الشاعر، سواء ما صح منها أو ما أضافته المخيلة الشعبية، فلغة العقاد باعتمادها هذا الأسلوب من التعبير بعنوان محفز للتساؤل، عرَّضت بتعامل العقل الجمعي للعامة من الناس، إذ فهم سيرة الشاعر على أنها سيرة النديم اللاهي الحاذق، المتمكن من سرعة الجواب والفهم بالإشارة، واللعب بالكلام، أو اللعب بالأفهام، لاسيما اللهو ونبذ الحياء والملام[34]؛ لذا يمكن القول: إن العنوان الذي صدَّر العقاد به مقالته، يلمح ولو بخفي الإشارة إلى نسق ثقافي مضمر، تلبّدت بعض مكوناته في تضاعيف رؤية العامة لأبي نواس، هذا المضمر عمل العقاد على تسليط الضوء عليه، ابتداءً من العنوان ليأخذ مدىً أوسع في أثناء الكلام اللاحق له، وتأسيسا على ذلك يكون عنوان العقاد عتبة إجرائية هيأت الموضوع للقارئ، أو هيأت القارئ لموضوعها. وجدير بالقول إن مسايرة هذا العنوان واصطحابه لمحتوى المقال يكشف لنا تشخيص العقاد لكيفية صنع بعض أنساق الثقافة الشعرية في التراث العربي؛ وذلك من خلال القول إن العامة الذين تصدر العنوان بهم، قد أخذوا جانبا من سيرة أبي نواس بعد أن شوهها عدد من الشعراء حسدا له وخوفا من أن يأخذ شهرة قد تقلل من حظوظهم لدى متلقي الخطاب الشعري آنذاك، وبذلك يكون العامة قد أعانوا على أنفسهم في التغرير بهم لدوافع أقل ما يقال عنها أنها ليست موضوعية، أو تجانب الصواب، يضاف له أن العامة أو قسما منهم، قد اتخذوا من أبي نواس وسيرته المملوءة بالعبث والمجون، قناعا يحتمون خلفه وهم يستعرضون الفاكهة المحرمة بذريعة أنها نصبت على مائدة أبي نواس.

❖أبو نواس الإباحي:

يمثل هذا العنوان جزءا مهما في سياقه؛ لأن الآراء النقدية التي يصل إليها العقاد تحته –سواء كانت في أشعاره، أم ما يخص حياته– ستلقي بظلالها على ما سيأتي من مقولات نقدية، فهو يخبر بطريقة قطعية بإباحية أبي نواس، وزاد عليها في عرضه لمادته العلمية بأنه (إباحي متهتك) هذه الخـِلّة في أبي نواس التي قالها

العنوان، لا تنتشر في مقالته هذه فحسب، بل جعل العقاد منها سياقا تعبيريا وسع من دلالته؛ ليشكل إطارا أسلوبيا ارتصفت فيه جملة الفرضيات، التي صارت فيما بعد أسسا تحمل دلالات مرجعية لغيرها، فالإباحية عند أبي نواس ((يتحدى بها الناس عامدا أن يسخر منهم...وهو الذي سمّى السمعة السيئة جاها يحتفظ به، ولا يفرّط فيه...إنما كانت مسألة التبذل عنده مسألة ظهور متعمّد واستخفافا برأي الناس؛ لأنه يريد أن يلقي في روعهم أنهم أهون لديه من أن يستتر لهم، أو أن ينزل عن لذة من لذاته لمرضاتهم))[35]، هذه الصفات التي لازمت أبا نواس في حياته، لازمته أيضا في دراسة العقاد له، ولم تنفك عنه حتى وسمته بالنرجسية، بوصفها عقدة أو مرضا نفسيا، والنرجسية عاشت مع أبي نواس حتى في توبته –على وفق ما ذهب إليه العقاد– ليبقيها مع شاعره حتى آخر كتابه، كما رافقت أبا نواس إلى آخر أيامه.

❖ الشعر والشيطان:

لهذا العنوان دلالة إيحائية كبيرة، تفضي بمن يقرأه إلى القول: إلى أي مدى بلغت غواية أبي نواس؟ حتى يفرد لها في كتاب العقاد مثل هذا العنوان، ويبدو أن دراسة العقاد بها حاجة للتصعيد من اللغة المعبرة عما يعرف عن أبي نواس بالإبليسيات، فكان الاقتران بين الشعر والشيطان أسلوبا معبرا عن ذروة الإباحية النواسية؛ لذلك خصّها العقاد بعنوان خاص افتتح به مقالة عرضت لطبيعة العلاقة بين أبي نواس والشيطان، بوصفه شيخا شعريا له وربما تابعا له، أي أن الشاعر يعرض الشيطان بصورة المتوسل له، وأبو نواس يتمنّع ويرفض، لا لعفة عنده، بل مبالغة في التمرد وزيادة في إثبات الذات[36]، وكل هذا ورد ضمن أشعاره، والعقاد في هذا السياق يذكر القارئ بالتاريخ العربي القديم، وطبيعة العلاقة بين الشاعر والشيطان، في التراث العربي، ولكن العقاد وهو يستقصي تمظهر الشيطان عند أبي نواس عرض لرمزيته في الشعر بصورة عامة، أي في الأدب العربي وغير العربي، مركزا القول على فكرتي التمرد والغواية التي قصدها أبو نواس وهو يتمنع عن الشيطان.

❖ عقدة الإدمان:

يقترب هذا العنوان من العنوان الذي سبقه، في بيان مسار المنظومة القيمية التي ينتمي إليها أبو نواس، فالقارئ يتحسس أن وراءه شخصية مضطربة إلى حد (العقدة النفسية)، ومغرقة في الغواية إلى حد (الإدمان الخمري)، وكذلك يوحي العنوان بوحدة السياق العلمي، الذي سيق الكلام فيه عن تتبع حياة الشاعر المدروس من خلال شعره، وصولا إلى خلق رؤية علمية منهجية، غايتها أن تستبين المكونات النفسية في طوية أبي نواس، وهذه العقدة –الإدمان– لم تكن مجرد عادة أو لذة ذوقية، بل كانت هوسا دفعه إليه –بحسب رأي العقاد– ما أسماه بـــ(خسة النسب) في عصر (الأنساب والأحساب)، فالعصر الذي عاش فيه أبو نواس، كان معترك الأنساب بين كل إنسان، فأصحاب الأصول الأعجمية يفاخرون العرب، ولا يعترفون لهم بفضل غير فضل النبوة، ثم يغمزون فضلهم بتعييرهم بما جنوه على عترة النبي (ص)، ومفاخرتهم لهم بانتصاره لعترة النبي (ص)، فضلا عن فخرهم

على العرب، إذ الحضارة والصناعة والترف والكياسة لديهم حتى قال قائلهم: لا يُفلح العربي إلا ومعه نبي يُوحى إليه، وقد ساق العقاد هذا الشاهد لبيان المدى الكبير الذي بلغه سياق التفاخر بالأنساب وغمزها آنذاك.

والعرب أنفسهم، كانوا فيما بينهم يتنازعون الافتخار بين قبائل (قحطان وعدنان)، أو بين (عرب الشمال) و(عرب الجنوب)، وكانت كل قبيلة من القبائل القحطانية، تفاخر القبائل الأخرى بالكثرة، والعزة، وسوابق التاريخ، ومكارم الآباء، والأبطال، وكذلك كانت تفعل كل قبيلة من القبائل العدنانية. وتكاد لا تسمع بأحد في ذلك العصر، إلا سمعت فخره بنسبه، أو بالمنازعة عليه، ولا استثناء في ذلك للخلعاء المبتذلين، بل لعلهم أحرص على دعوى النسب من غيرهم على سبيل التعويض والعزاء؛ لذلك لم يجد أبو نواس غير إدمان السكر والتهافت على معاشرة الندماء؛ علاجا لتلك المنقصة، فكانت عقد الإدمان هوسا في سلوكه[37].

❖ الجاحدون واللادينيون:

تدل صياغة هذا العنوان على شكل جمع مذكر سالم، أن العقاد لا يريد أن يفارق متابعته لفهم أو تعامل جمهور الأدب بصورة عامة، لشعر وشاعرية أبي نواس، وطبيعة المواقف التي اتخذت بإزائه، ولكن هذه المرة انطلق من المتلقي إلى أبي نواس، مفرّقا بين هذين المفهومين على أساس نفسي، يرى أن الجاحد قد ينكر دينا لم تطمئن له سريرته، ويظل متفتح القلب للإيمان بدين آخر، وقد يجاهد في إنكاره بحماسة تشبه حماسة المؤمن المستبسل في جهاده، فإن لم يكن منكرا للدين على هذا النحو، فهو مهتم بالدين على أية حال. أما اللادينيون، فهم لا يحفلون بالدين، ولا ينشطون لقبوله ولا لإنكاره، ولا يشغلون عقولهم به لمحة عين، كأنهم ولدوا قبل وجود الأديان، فلم يسمعوا بها. وأبو نواس –بحسب رأي العقاد– ليس من الفئة الثانية، بل من الفئة الأولى؛ لأنه لم ينقطع قط عن اللهج بالأديان، وإن كان يلهج بها لهجا لا يطيب للمتدينين[38]. ولغة العقاد النقدية وما تضمنته من حمولات دلالية على وفق ما تقدم، قد توسعت إلى حد كبير في منحى الدخول لعالم أبي نواس الشعري، فهذا التقسيم وإن بُنِيَ على أساس نفسي، فهو في النتيجة هو تقسيم عقدي، وقد عزى العقاد أبا نواس لفئة محددة منهما، هذا الانتساب من الوجهة الدينية له بُعدٌ مرجعي في توجيه شعر وسيرة أبي نواس في حياته، وفي قراءته نقديا أيضا. والأسلوبية في هذا السياق تُشخّص احتفال اللغة النقدية القارئة لأبي نواس، على أنها تبني أحكامها على وفق ظواهر شعرية بارزة، أو معطيات كبيرة ضمن حياة الشاعر، مما يعطيها رصانة علمية، تُروّج لقبولها لدي متلقي الخطاب النقدي عند العقاد.

الخاتمة

بعد رحلة ليست باليسيرة برفقة العقاد، القامة النقدية الكبيرة، وصعوبة المراس معه، حيث إحكام لغته النقدية، واتساع مديات الرؤيا المُنقــّبة في أبي نواس الظاهرة الشعرية، ذات الامتداد الواسع في تاريخ الأدب العربي، وما رافقه من سرد لوقائع حياته الذي لم يخلُ من منحى خيالي، ربما بلغ بعدا أسطوريا في بعض الأحيان، وحيث

مقولات منهج النقد النفسي، وما يرافقها من جدل القبول أو الرد، هذا الجدل وإن لم يظهر صريحا في لغة العقاد، إلا أن تحرزه واضح في كثرة الشرح والتفصيل والتعليل، الذي قد يصل إلى حد الاستطراد. يخلص البحث إلى القول: إن لغة العقاد النقدية حفلت **بأسلوب اصطلاحي**، ضبط مسار النقد بشكل منهجي دقيق دقة صريح قوله الذي لا يعمّي في الكلام، ولا يوارب في العرض، وعميق عمق النفس الإنسانية التي استظهر مكنوناتها. كما أن استعمال العقاد للغة ذات خصائص أسلوبية متعددة **تعبر عن ذات المؤلف**، وسعت إمكانيات نقد العقاد بطاقات دلالية أضفت عليه حرية التعامل مع النص المدروس، أو حرية الفهم التي تشرك القارئ بإمكانية إضافة فهم جديد أو احتمال آخر، قد يتفق أو لا يتفق مع ما يطرح من موضوعات، وهذا من مظاهر الثراء الفكري الذي يناسب لغة الأدب ونقده، المنفتحة على تعدد القراءات. وثبت مما تقدم ،أن العقاد أثرى نقده **بأسلوبية العنوان** النقدي الموحية التي تعمل على تكثيف الدلالة، من خلال اعتماد عتبات نصية صدّر بها مقالاته النقدية، تُحفّز ذهن القارئ وتومئ له قبل الدخول في تفاصيل المقال، الذي يفصّل ما أجمله في العنوان، ليكون هذا العنوان فيما بعد محورا فكريا ترتصف فيه متبنياته النقدية في أبي نواس.

الإحالات

(*)- اقترح هذا الموضوع أستاذي الدكتور (سرحان جفات سلمان) أستاذ الدراسات النقدية في قسم اللغة العربية بكلية التربية-جامعة القادسية، شتاء سنة 2015م؛ ليكون نواة دراسة أوسع تشمل منجز العقاد النقدي.

(1)- بحوت مصطلحية، د. أحمد مطلوب:3.

(2)- دليل الناقد الأدبي، د. ميجان الرويلي، د. سعد البازعي: 17.

(3)- في المصطلح ولغة العلم، د. مهدي صالح الشمري:59.

(4)- المصطلح النقدي عند جماعة الديوان، رسالة ماجستير، محمد الصديق، كلية الآداب، جامعة قاصدي، الصفحة: ب.

(5)- البلاغة والأسلوبية، د.محمد عبد المطلب:129.

(6)- ينظر: دراسات في اللغة والمصطلح، د. يوسف العثماني:94.

(7)- أبو نواس الحسن بن هانئ ، عباس محمود العقاد:7-8.

(8)- المصدر نفسه:19 وما بعدها.

(9)- نفسه: 19.

(10)- نفسه:23 وما بعدها.

(11)- نفسه:29.

(12)- نفسه:29.

(13)- نفسه:113.

(14)- نفسه:35-36.

(15)- نفسه:40-41.

(16)- ينظر: نفسه:140.

(17)- نفسه:144.

(18)- الأسلوب دراسة لغوية إحصائية، د. سعد مصلوح:42.

(19)- الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها، د. موسى ربابعة:10.

(20)- الأسلوبية والأسلوب، د. عبد السلام المسدي:41.

(21)- علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، د. صلاح فضل:14.

(22)- ينظر: الأسلوبية بوصفها مناهجا، د. رحمن غركان:57.

(23)- أبو نواس:10.

(24)- المصدر نفسه:14،36.

(25)- نفسه:41.

(26)- نفسه:100.

(27)- نفسه:23-24.

(28)- نفسه:109.

(29)- ينظر: الأسلوبية وتحليل الخطاب، د. منذر عياشي:107.

(30)- الأسلوبية والبيان العربي، د. محمد عبد المنعم خفاجي وآخرون:126.

(31)- مدخل إلى علم الأسلوب، د. شكري محمد عياد:74.

(32)- دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث، د. أحمد درويش:127.

(33)- النص والأسلوبية بين النظرية والتطبيق، عدنان بن ذريل:36.

(34)- أبو نواس:8.

(35)- نفسه:25.

(36)- ينظر: نفسه:83-84.

(37)- نفسه:95 وما بعدها.

(38)- نفسه:127 وما بعدها.

Abstract

Stylistics of critical language according to Al-Akkad, Abu Nawas book A model

By Dargham Adnan Saleh Al-Yasiri

This study examines the stylistic features that characterized the critical language of the great critic (Abbas Mahmoud Al-Akkad), according to the textual stylistic and personal style, the text of the critical Akkad has structural characteristics, which makes it a special kind of literature; The specificity of the language of Akkad, although the extent of his work in the basis of literary criticism, and the sentence to be described in this study are: Monitoring and diagnosis of the method of critical writing when Akkad in his book tagged (Abu Nawas Hassan bin Hani), The language of literary criticism, although closer to the language of science than to the language of literature, but the critic creator of his language, which should form its literary text, which is critically studied; ? When the answer is available, it can be said that the research presented his main hypothesis, namely that the critical language of Akkad - in his book subject of study - stylistic characteristics of the award granted by its own stylistic identity.

مصادر البحث

- أبو نواس الحسن بن هانئ ، عباس محمود العقاد، ط1، مؤسسة هنداوي، القاهرة، 2013.
- الأسلوب دراسة لغوية إحصائية، د. سعد مصلوح، ط3، عالم الكتب، القاهرة، 1992.
- الأسلوبية بوصفها مناهجا الرؤية والمنهج، د. رحمن غركان، ط1، الدار العربية، بيروت، 2014.
- الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها، د. موسى ربابعة، ط1، دار الكندي للنشر، الأردن، 2003.
- الأسلوبية والأسلوب، د. عبد السلام المسدي، ط3، الدار العربية للكتاب، تونس، 1982.
- الأسلوبية والبيان العربي، د. محمد عبد المنعم خفاجي وآخرون، ط1، الدار المصرية اللبنانية، 1992.
- الأسلوبية وتحليل الخطاب، د. منذر عياشي، ط1، مركز الإنماء الحضاري، سوريا حلب، 2002.
- بحوت مصطلحية، د. أحمد مطلوب، ط1، منشورات المجمع العلمي العراقي، بغداد، 2006.
- البلاغة والأسلوبية، د. محمد عبد المطلب، ط1، دار نوبار للطباعة، القاهرة، 1994.
- دراسات في اللغة والمصطلح، د. يوسف العثماني، ط1، سوسة، مصر، 2008.
- دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث، د. أحمد درويش، ط1، دار غريب للطباعة، القاهرة، 1998.
- دليل الناقد الأدبي، د. ميجان الرويلي، د. سعد البازعي، ط5، الدار الثقافي العربي، بيروت، 2005.
- علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، د. صلاح فضل، ط1، دار الشروق، القاهرة، 1998.
- في المصطلح ولغة العلم، د. مهدي صالح الشمري، ط1، بغداد العراق، 2012.
- مدخل إلى علم الأسلوب، د. شكري محمد عياد، ط2، مكتبة مبارك العامة، مصر الجيزة، 1992.
- النص والأسلوبية بين النظرية والتطبيق، عدنان بن ذريل، ط1، منشورات إتحاد الكتاب العرب، 2000.
- المصطلح النقدي عند جماعة الديوان، رسالة ماجستير، محمد الصديق،كلية الآداب، جامعة قاصدي، الجزائر، 2012.